آداب

ISSN 0302- 8844

مجلة كلية الآداب جامعة الخرطوم

مجلة علمية نصف سنوية محكمة. تصدر عن كلية الآداب – جامعة الخرطوم

العدد 54
المجلد 2
يناير 2026

العدد ٥٤ المجلد ٢. يناير ٢٠٢٦م

هيئة التحرير	الهيئة الاستشارية
رئيس التحرير	
أ.د. صديق مصطفى الريح	
مدير التحرير	أ.د. فدوى عبد الرحمن علي طه
أ.د. أزهري مصطفى صادق علي	أ.د. علي عثمان محمد صالح
أعضاء هيئة التحرير	أ.د. جلال الدين الطيب
أ.د. الصادق يحيى عبد الله	أ.د. رقية السيد الطيب العباس
د. محمد الفاتح حياتي	أ.د. حمد النيل محمد الحسن
د. عفاف محمد الحسن	أ.د. الحسين النوريوسف
د. رشا البارودي	أ.د. يحيى فضل طاهر
د. نادرة عبدالله علي	أ.د. مبارك حسين نجم الدين
د. وليد نور الدائم	د. يونس الأمين
د. أحمد عبد المنعم	د. محاسن حاج الصافي
سكرتارية المجلة	د. حسن علي عيسى
أ. وليد مدثر	
أ. سارة مأمون	

تعنون إلى رئيس التحرير: كلية الآداب جامعة الخرطوم. ص. ب ٣٢١
أو البريد الإلكتروني: Journal.art@uofk.edu أو siddig.alrayyah@uofk.edu

المحتويات

القسم العربي

١. التأويل النحوي لأدوات الشرط في توجيه القراءات القرآنية. د. سعيدة عمر محمد ثاني ١

٢. الهجاء في شعر ابن الرومي .طرائقه وأثره في المتلقي. دراسة من منظور التلقي. أ.د. عادل عثمان الهادي محمـــد، أ. خليل إبراهيم أحمد الملبلب ٢٥

٣. تحليل محتوى القواعد النحوية وتقويمه من سلسلة كتاب (اللغة العربية) للمدارس الإعدادية المزدوجة بالسنغال في ضوء اللسانيات الحديثة - الكتاب الأول أنموذجاً. عباس توري سولي سومانو ٥٥

٤. موافقات الجوهري في صِحاحِه للمذهب الكوفي النحوي باعتماده آراء الفراء. د. حسن صلاح الدين حسن عبد الرحمن. د. مصلح عثمان محجوب حميده ٧٩

٥. ستيف بانتو بيكو وفلسفة الوعي الأسود: قراءة تاريخية في خطابه وتأثيره (١٩٦٨–١٩٩٤م). د. عبد الوهاب دفع الله أحمد ٩٩

٦. تجربة اللجوء السوداني في أوغندا: الفرص والتحديات (دراسة حالة مستوطنة كريانـدنقو للاجئين في أوغنـــدا). د. بابكر عيسى أحمد محمد ١١٩

٧. نظرة الدول العربية لمبادرة الأمن العالمي: بين النموذج الصيني والنموذج الغربي. مريم محسن حســـــن عبد الله. د. كانغ يو شا ١٥٥

٨. إدارة التراث الأثري في منطقة نجران واستثماره سياحياً: رؤية استشرافية في ضوء التحولات التنموية المعاصرة. د. عبد الله بن سالم باسنبل. أ. د. عبد الناصر بن عبد الرحمن الزهراني ١٨٥

٩. الضمانات الدولية لحماية الممتلكات الثقافية واستردادها أثناء النزاع المسلح: متاحف السودان نموذجاً. د. ياسر علي محمد تاي الله، د. رباب عبد الرحمن الوسيلة، د. رجاء يوسف عبد الرحمن ٢٣١

١٠. موجز عصور ما قبل التاريخ في النوبة. فريد ويندورف. ترجمة أ.د. أزهري مصطفى صادق ٢٦١

القسم الأجنبي

11. The Impact of Learning Context on the Use of Learning Strategies by Sudanese EFL Learners. Ali Muhammad Ali Ibrahim…..…….. 305

12. Le rôle des aspects socioculturels au développement de la compétence interculturelle chez les apprenants universitaires soudanais « Etude descriptive et analytique de la Méthode de Français Connexions 3 » P. Babiker Izaldin Youssif. D. Omer Ahmed Mohamed Omer……. 325

13. Erstellung von Länderspezifischen Lernmaterialien für Deutsch als Fremdsprache am Beispiel des DaF-Unterrichts im Sudan. Dr. Othman Abdalla Deifalla Mohammed…… 347

قواعد النشر وشروطه

آداب مجلة علمية محكمة تصدر في يناير ويوليو من كل عام عن كلية الآداب جامعة الخرطوم وتقبل البحوث في مجالات الآداب والفنون والعلوم الإنسانية باللغة العربية والإنجليزية والفرنسية مع مراعاة الآتي:

١. ألا يكون البحث المقدم للمجلة قد نشر أو قدم للنشر في مكان آخر.
٢. تخضع البحوث المنشورة في هذه المجلة للتحكيم العلمي الذي يتولاه أساتذة مختصون وفق ضوابط موضوعية.
٣. تسلم نسختان مطبوعتان من البحث على معالج نصوص (حاسوب) مع أسطوانة مدمجة تحتوي على البحث. أو ترسل على البريد الإلكتروني journal.art@uofk.edu أو prof.siddig.alrayyah@gmail.com.
٤. يراعى في البحث ألا يتجاوز ١٠,٠٠٠ كلمة، وألا يقل عن ٥٠٠٠ كلمة، ويرفق الباحث مستخلصاً باللغتين العربية والإنجليزية لبحثه بما لا يتجاوز صفحة واحدة (٢٠٠) كلمة، ويذيل هذا المستخلص بما لا يزيد على خمس كلمات مفتاحية تبرز أهم المواضيع التي يتطرق إليها البحث. ويراعى أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على عنوان البحث واسم الباحث، والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية وعنوان البريد والبريد الإلكتروني باللغتين العربية والإنجليزية.
٥. تنشر المجلة مراجعات الكتب بحدود (٢٠٠٠) كلمة، على ألا يكون قد مضى على صدور الكتاب أكثر من عامين، ويدون في أعلى الصفحة عنوان الكتاب واسم المؤلف ومكان النشر وتاريخه وعدد الصفحات. وتتألف المراجعة من عرض وتحليل ونقد، وأن تتضمن المراجعة خلاصة مركزة لمحتويات الكتاب. مع مراعاة الاهتمام بمناقشة مصداقية مصادر المؤلف وصحة استنتاجاته.
٦. أن يوثق البحث علمياً بذكر المصادر والمراجع التي اعتمدها الباحث في نهاية البحث. وترتب المراجع في نهاية البحث هجائياً على ألا تحتوي قائمة المراجع إلا على تلك التي تمت الإشارة إليها في متن البحث. يشار إلى جميع المصادر في متن البحث كالطريقة التالية (اسم العائلة. سنة النشر. الصفحة او الصفحات) مثال: (صادق. ٢٠٢١. ١٤) (Adams. 2000. 14). وتوثق في قائمة المراجع والمصادر كما يلي:

للكتب وبحوث المؤتمرات:

- أحمد بدوي. **أسس النقد الأدبي عند العرب**. القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٦٤م.

للمقالات والفصول في الكتب:

- قاسم المومني. "علاقة النص بصاحبه دراسة في نقود عبد القاهر الجرجاني الشعرية". **عالم الفكر**. الكويت: العدد الثالث يناير/ مارس ١٩٩٧م. ١١٣-١٢٨.

يراعي في المراجع الأجنبية النمط نفسه

٧. تعبر البحوث التي تنشرها المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة أو أية جهة أخرى يرتبط بها صاحب البحث.
٨. لهيئة التحرير الحق في إدخال التحرير والتعديل اللازمين على الأبحاث. وتعد هيئة التحرير رأي محكم المقال نافذاً بالنسبة لنشر البحث أو عدمه أو إدخال التعديلات التي يوصي بها المحكم.
٩. لا تقبل البحوث والدراسات التي تعد لإكمال مطلوبات إجازة الرسائل الجامعية (الدكتوراه).
١٠. لهيئة التحرير الحق في رفض أي بحث مقدم لها دون إبداء الأسباب.
١١. دفع رسوم النشر المقررة على الباحثين غير السودانيين والسودانيين بالخارج أو من خارج الجامعة كل على حسب فئته.

ستيف بانتو بيكو وفلسفة الوعي الأسود:
قراءة تاريخية في خطابه وتأثيره (١٩٦٨-١٩٩٤م)

د. عبد الوهاب دفع الله أحمد

أستاذ مساعد – تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، قسم العلوم الاجتماعية – كلية الآداب والفنون جامعة حائل – المملكة العربية السعودية. جامعة الخرطوم – كلية الآداب– قسم التاريخ – السودان

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تقديم قراءة تاريخية تحليلية لفكر الوعي الأسود كما صاغه ستيف بانتو بيكو بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٧م، ويتتبع أثره في إعادة تشكيل الخطاب الوطني والمقاومة الفكرية ضد نظام الفصل العنصري حتى عام ١٩٩٤م. وينطلق التحليل من فرضية مفادها أن بيكو تجاوز حدود النشاط الطلابي ليطرح رؤية للتحرر تقوم على استعادة الوعي والكرامة الإنسانية، وأن ميدان الصراع الأول يبدأ في تحرير الإنسان لوعيه قبل أن ينتقل إلى الفعل السياسي. اعتمد البحث المنهج التاريخي في تحليل خطاب الوعي الأسود كما تجلى في نصوص بيكو وبيانات الحركة المرتبطة به، مستندا إلى وثائق أصلية مثل بيانات منظمة الطلبة الجنوب إفريقيين، ومقالات «حديث صريح»، وشهادات بيكو القضائية، وتقارير لجنة الحقيقة والمصالحة، لإعادة قراءة هذا الخطاب في سياقه الفكري والسياسي والأخلاقي. تبيّن النتائج أن فكر بيكو أحدث تحولا معرفيا نقل المقاومة من حدود المطالبة بالحقوق القانونية إلى تحرير الذات من نفيها الداخلي، وأعاد تعريف السواد بوصفه موقفا أخلاقيا ووعيا بالكرامة. يوضح البحث كذلك أن أثر الوعي الأسود استمر بعد اغتيال بيكو عام ١٩٧٧م داخل الحركات العمالية، والكنسية، والثقافية، والشبابية، وأسهم في تشكيل اللغة الأخلاقية للمقاومة خلال ثمانينيات القرن العشرين، ثم انعكس في فلسفة العدالة الانتقالية عقب سقوط نظام الفصل العنصري. كما يخلص البحث إلى أن الوعي الأسود يمثل مشروع تحرر إنساني متجدد يجعل الكرامة محور المقاومة، ويؤكد أن الطريق إلى الحرية يبدأ بتحرير الوعي قبل أي تحول سياسي أو اجتماعي.

لكلمات المفتاحية: ستيف بانتو بيكو؛ الوعي الأسود؛ الفصل العنصري؛ الفكر التحرري الإفريقي؛ الكرامة الإنسانية؛ المقاومة الفكرية

Abstract

This research offers a historical–analytical reading of the philosophy of Black Consciousness as articulated by Steve Bantu Biko between 1968 and 1977, and traces its impact on the reconstruction of national discourse and intellectual resistance to the apartheid system up to 1994. The analysis proceeds from the premise that Biko moved beyond the role of a student activist to emerge as a thinker who redefined liberation on the basis of consciousness and dignity, locating the deepest arena of struggle within the human subject before its manifestation in the political sphere. The study adopts a historical–discursive approach, drawing on original sources such as the South African Students' Organization policy statements, Frank Talk writings, Biko's courtroom testimonies, and the reports of the Truth and Reconciliation Commission, in order to reread his discourse within its intellectual, political, and ethical contexts. The findings demonstrate that Biko's thought produced a cognitive shift that redirected resistance from the pursuit of legal rights

toward the liberation of the self from internal negation, redefining blackness as an ethical stance grounded in dignity. The study further shows that the influence of Black Consciousness persisted after Biko's death in 1977 within labor, church, cultural, and youth movements, contributing to the formation of the moral language of resistance during the 1980s, and later finding expression in the philosophy of transitional justice following the collapse of apartheid. The study concludes that Black Consciousness represents a renewed humanist project that places dignity at the center of resistance, affirming that the path to freedom begins with the liberation of consciousness prior to any political or social transformation.

Keywords: Steve Bantu Biko; Black Consciousness; apartheid; African liberation thought; human dignity; intellectual resistance

المقدمة

بلغت جمهورية جنوب إفريقيا أواخر ستينيات القرن العشرين ذروة التشدد العنصري، حين أحكم نظام الفصل العنصري قبضته بعد عقدين من التشريعات التي نظمت التمييز في أدق تفاصيل الحياة، وأقصت القوى الوطنية منذ مذبحة شاربفيل عام ١٩٦٠م. امتلأت السجون، وخيم الصمت على المدن، واستبد بالناس شعور بالعجز، فنشأ جيل كامل في ظلال الخوف، لا يعرف من العالم سوى الأسوار التي رسمها الفصل العنصري. خمدت جذوة المقاومة التي اشتعلت في خمسينيات القرن العشرين، وبدا المشهد السياسي جامدا بلا أفق ظاهر.

نهض في هذا السياق ستيف بانتو بيكو، فحول فكرة المقاومة من الشارع إلى الوعي. أدرك أن القيد الأخطر يقيم في الذهن، وأن تحرير الإنسان يبدأ بإسقاط الإحساس بالدونية الذي خلفه الاستعمار والعنصرية. صاغ رؤيته مشروعا يجمع بين الفكر والنضال، فأسس منظمة طلاب جنوب إفريقيا (South African Students' Organization – SASO) منبرا لأطروحة الوعي الأسود، مؤكدا أن الثورة الحقيقية انتصار على الخوف، وأن الكرامة تستعاد بالفعل الواعي.

خرج فكر بيكو من أسوار الجامعة إلى الكنائس، والمراكز الثقافية، ومجتمعات العمل، فتحول الوعي الأسود إلى تيار اجتماعي يربط بين التعليم والإيمان والعمل، ويجعل الاعتماد على الذات طريقا للحرية. استشعر النظام العنصري خطر هذه الفكرة التي تحرر العقول، ففرض عليه أوامر المنع والمراقبة، ومع ذلك واصل بيكو بث أفكاره سرا حتى صار صوتا لجيل يرفض الخضوع. وعندما اندلعت انتفاضة سويتو عام ١٩٧٦م، كان فكر بيكو قد أسهم في تهيئة وعي عام انفجر رفضا للتعليم القسري وفرض لغة المستعمِر.

شهدت المرحلة الممتدة بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٧م تحولا فكريا عميقا في مسار المقاومة الجنوب إفريقية، أعاد فيه بيكو تعريف معنى النضال عبر نقل المواجهة من ميدان السلاح إلى ميدان الوعي. رأى أن

معركة التحرر لا تحسم بالقوة وحدها، بل بتحرير الإنسان من عقدة الدونية التي رسخها النظام العنصري. وعندما توفي بعد تعرضه للتعذيب في سبتمبر ١٩٧٧م، تحول أثره إلى رمز أخلاقي وإنساني تجلى في ضمير الطلبة، والكنائس، والمثقفين، وصار اسمه مرادفا لكرامة إفريقية عصية على الانكسار.

يستهدف هذا البحث قراءة تجربة بيكو فصلا من فصول التاريخ الفكري الحديث في جمهورية جنوب إفريقيا. يتعامل معه مفكرا أعاد صياغة العلاقة بين الحرية والوعي، وجعل من الكلمة أداة تحرر، ومن الذات السوداء موضع استعادة للثقة بالعقل الإفريقي. وتقوم الدراسة على فرضية أن تحليل نصوصه الأصلية وخطاباته وشهاداته يكشف جوهر مقاومة أخلاقية جعلت الإنسان غاية النضال.

تبرز أهمية هذا البحث في إعادة إبراز بيكو داخل تاريخ جنوب إفريقيا الحديث بوصفه أحد أبرز من نقلوا النضال من العمل السياسي المباشر إلى ميدان الوعي والفكر، حيث مثل مشروعه بين عامي ١٩٦٨ و١٩٧٧م مرحلة مفصلية أسست لفلسفة تحررية جعلت الوعي الذاتي شرطا لأي تحرر وطني شامل. تسعى الدراسة، عبر قراءة تاريخية تحليلية تعتمد الوثيقة والنص والسياق، إلى إبراز فلسفة الوعي الأسود حلقة فكرية حاسمة في تطور الكفاح ضد الفصل العنصري، وربطها بالحوار العربي–الإفريقي حول الاستعمار والتبعية والكرامة الإنسانية.

تسهم هذه الدراسة في إثراء الكتابة التاريخية العربية حول النضال الإفريقي الحديث، وتؤكد أن طريق الحرية في جنوب إفريقيا بدأ بالعقل قبل البندقية. وتبرز التجربة الجنوب إفريقية نموذجًا لتحولات الخطاب التحرري في القرن العشرين، حيث التقت الفكرة بالممارسة، والتحليل الفكري بالسياق التاريخي.

ينطلق البحث من فرضية ترى فلسفة الوعي الأسود مشروعا فكريا أخلاقيا متكاملا يهدف إلى تحرير العقل الإفريقي من الاستعمار النفسي، وإعادة بناء الذات المقهورة. تجلت هذه الفلسفة في كتابات بيكو ومرافعاته التي حولت الكلمة إلى فعل مقاوم، واستمر أثرها بعد وفاته في الحركات الطلابية التي أعادت طرح أسئلة الكرامة والمعرفة في مرحلة ما بعد الفصل العنصري. يفترض البحث أيضا أن قراءة فكر بيكو من منظور عربي–إفريقي تفتح أفقا لحوار جديد حول الوعي، والحرية، والعدالة المعرفية.

ينبثق عن هذا التصور السؤال الرئيس: كيف تمكن ستيف بيكو من تحويل الوعي الأسود من خطاب احتجاجي إلى مشروع تحرري شامل أعاد صياغة العلاقة بين الذات والسلطة في ظل نظام الفصل العنصري؟

وتتفرع عنه الأسئلة الآتية:

١/ ما الظروف الفكرية والاجتماعية والسياسية التي نشأت فيها فلسفة الوعي الأسود بين عامي ١٩٦٨م و١٩٧٧م؟
٢/ كيف جسد بيكو فكرة التحرر من الداخل في نصوصه وخطاباته؟
٣/ ما الأبعاد الأدائية في شهادته القضائية التي جعلت من الكلمة فعلا تحرريا؟
٤/ كيف واصل فكره التأثير في الحركات الطلابية والثقافية بعد الفصل العنصري؟
٥/ ما الإضافة التي يقدمها المنظور العربي في فهم فكر بيكو ضمن الحوار الإفريقي حول الحرية والكرامة؟

يستند البحث إلى تحليل فلسفة بيكو إحدى تجليات الفكر التحرري الإفريقي في ستينيات القرن العشرين وسبعينياته، حين انتقل النضال من مطلب الاستقلال السياسي إلى تحرير الوعي واستعادة الكرامة الإنسانية. تفاعلت أفكاره مع أطروحات فرانتز فانون، وأمِلكار كابرال، وكوامي نكروما، ويوليوس نيريري، واكتسبت خصوصيتها في السياق الجنوب إفريقي من خلال مواجهة اللاهوت العنصري (Theology of Apartheid)[١] الذي سعى إلى إضفاء شرعية دينية على نظام الفصل العنصري عبر الكنيسة الإصلاحية الهولندية.

[١] يقصد بـ اللاهوت العنصري الاتجاه الديني الذي تبنته الكنيسة الإصلاحية الهولندية لتبرير نظام الفصل العنصري منذ منتصف القرن العشرين، عبر تأويل لاهوتي زعم أن الفصل بين الأعراق إرادة إلهية، انظر: Woods, D. (1978). Biko. London: Paddington Press.

عرف بيكو السواد بوصفه موقفا أخلاقيا ووعيا بالذات لا صفة جسدية، وحول مقاومة الظلم إلى مشروع تحرري يعيد للإنسان المقهور إنسانيته. نشأ من هذا التصور تحول معرفي جعل تحرير الوعي شرطا للتحرر السياسي، والمقاومة فعلا إنسانيا قبل أن تكون صراعا اجتماعيا.

يلتقي فكر ستيف بيكو مع اللاهوت الأسود[١] (Black Theology) ومع فلسفة (تربية المقهورين)[٢] لباولو فريري (Pedagogy of the Oppressed)، ومع التحليل النفسي التحرري[٣] لدى فرانتز فانون (Liberation Psychoanalysis)، حيث تنظر هذه القراءات إلى الاستعمار بوصفه قيدا داخليا قبل أن يكون هيمنة خارجية. ويغدو الوعي الأسود، في هذا السياق، عملية استعادة جماعية للثقة وبناء أخلاقيا لإنسان جديد.

تعتمد الدراسة منهجا تكامليا يزاوج بين التحليل التاريخي، والخطابي، والنفسي–الاجتماعي. يركز التحليل التاريخي على تتبع تطور حركة الوعي الأسود من نشأتها الطلابية إلى امتدادها الشعبي، وربطها بالبنية السياسية والاجتماعية التي أفرزتها. بينما يستكشف التحليل الخطابي لغة بيكو ساحة صراع رمزي بين القهر والتحرر، كاشفا بنيتها الأخلاقية والإنسانية. ويفسر التحليل النفسي النقدي دعوته إلى الاعتزاز بالذات علاجا جماعيا لإعادة بناء الوعي بعد قرون من الإخضاع.

---

(١) ظهر اللاهوت الأسود في أواخر ستينيات القرن العشرين داخل الجامعات والكنائس الجنوب إفريقية المتأثرة بحركة الوعي الأسود، بوصفه تيارا دينيا تحرريا سعى إلى تحرير الإيمان المسيحي من التوظيف العنصري الذي مارسته الكنيسة الإصلاحية الهولندية في تبرير نظام الأبارتايد، وإعادة توجيه الخطاب الديني نحو مقاومة القهر واستعادة الكرامة الإنسانية. راجع: Cone, J. H. (1969). Black Theology and Black Power, New York: Seabury Press.

(٢) تربية المقهورين: هي منهج تربوي نقدي صاغه المفكر البرازيلي باولو فريري، يهدف إلى تحرير الإنسان من البنى القهرية التي أنتجتها نظم التعليم الاستعمارية، من خلال تنمية الوعي النقدي، والمشاركة الفاعلة في إنتاج المعرفة، بوصف التعليم أداة للتحرر لا للهيمنة. راجع: فريري، باولو. (١٩٨٠م). تربية المقهورين. ترجمة: فؤاد أندراوس. بيروت: دار العلم للملايين.

(٣) يشير التحليل النفسي-التحرري إلى الاتجاه الذي سعى إلى فهم آثار القهر في اللاوعي الجمعي للشعوب المستعمَرة، وتحويل علم النفس إلى أداةٍ لتحرير الإنسان من الاستلاب الداخلي Frantz Fanon, Black Skin, White Masks, Paris: Seuil. pp. 82–89.

تغطي الدراسة الفترة الممتدة بين عامي ١٩٦٨م و١٩٩٤م، وهي مرحلة تشكل المسار الكامل لفلسفة الوعي الأسود من التأسيس إلى امتدادها في السنوات الأخيرة من نظام الأبارتايد. وينحصر النطاق المكاني في مدن الكيب الشرقي، وديربان، وبيترمارتيزبورغ التي شكلت مراكز للنشاط الطلابي والفكري. وتركز الدراسة موضوعيا على الأبعاد الفكرية والخطابية دون التوسع في السيرة الفردية.

تعتمد الدراسة على الأرشيفات الجنوب إفريقية المفتوحة، مثل أرشيف التاريخ الجنوب إفريقي (SAHA)، وأرشيف التاريخ الجنوب إفريقي على الإنترنت (SAHO)، وأرشيف الأوراق التاريخية بجامعة ويتواترسراند (Wits Historical Papers)، وتقارير لجنة الحقيقة والمصالحة (TRC)، ومجموعات مؤسسة ومركز ستيف بيكو (Steve Biko Foundation & Centre)، إضافة إلى الدراسات الثانوية باللغتين العربية والإنجليزية، مع استبعاد الأدوات الإحصائية لكون طبيعة البحث تفسيرية.

تنوعت الكتابات حول بيكو وفلسفة الوعي الأسود عبر مراحل متعاقبة. ركزت المرحلة الأولى على التوثيق المعاصر للنضال، كما في عمل دونالد وودز الذي قدم صورة إنسانية قريبة من السيرة الصحفية (Woods, 1978, 211–216). بينما ربطت غايل جيرهارت الحركة بخطاب القوة السوداء في الولايات المتحدة متجاوزة خصوصية السياق الإفريقي (Gerhart, 1978, 145–149).

شهدت ثمانينيات القرن العشرين وتسعينياته مرحلة التأصيل الأكاديمي، حيث حلل روبرت فاتون البعد الإنساني للتحرر من الاستلاب[1] ، كما ربطت بعض الدراسات بين الكفاح السياسي واللاهوت الأسود في سياق مقاومة الأبارتايد، وهو ما ظهر في أعمال جيمس كون، ظهرت قراءات جديدة مثل أعمال مانغكو، ومزمان وبيتيانا وجيرهارت، وأرنولد، التي أبرزت البعد الأخلاقي والتربوي لفكر بيكو. وسعت

[1] الاستلاب (Alienation): مفهوم فكري–تاريخي نشأ في سياق نقد الهيمنة الاستعمارية، ويعبر عن حالة فقدان الإنسان وعيه بذاته وهويته نتيجة القهر البنيوي، والتبعية الثقافية. وقد استخدمه مفكرو التحرر في جنوب إفريقيا، وفي مقدمتهم ستيف بيكو، وفرانز فانون، للدلالة على اغتراب الإنسان الأسود عن ذاته تحت نظام الأبارتايد، وعدّوا استعادة الوعي خطوة أولى نحو التحرر. انظر Steve Biko, *Write What I Like,* (Johannesburg: Picador Africa, pp. 27-31 (2005).

دراسات لاحقة مثل(More, 2014) ، و(Ngwane, 2018)، و(Magaziner, 2010)، النقاش ليشمل أسئلة إزالة الاستعمار في الجامعة والمجتمع.

في المقابل انصب الاهتمام العربي غالبا على المسار السياسي للنضال ضد الفصل العنصري، كما في أعمال حسن نافعة ١٩٩٠م، ومحمد فايز فرحات ٢٠٠٨م، مع محدودية التناول الفكري لفلسفة الوعي الأسود ظهرت محاولات عربية جزئية عالجت دور بيكو وحركة الوعي الأسود في سياق انتفاضة سويتو دون ربط منهجي بين النصوص الأصلية وسياقاتها[1].

تكشف هذه المراجعة أن معظم الدراسات تناولت جانبا واحدا من فكر بيكو. تنطلق مساهمة هذا البحث من تقديم قراءة تاريخية نصية متكاملة تعيد فكره إلى بيئته النضالية الأولى، وتربطه بالحوار العربي–الإفريقي حول الحرية والكرامة والوعي الإنساني.

المبحث الأول

الخلفية التاريخية لنشأة حركة الوعي الأسود في جنوب إفريقيا (١٩٤٨–١٩٧٧م)

فرض نظام الفصل العنصري سطوته مع تولي الحزب الوطني الحكم عام ١٩٤٨م، فشرع في تشييد بنية قانونية واجتماعية أعادت تنظيم المجتمع على أساس عرقي. أقر في مطلع خمسينيات القرن العشرين حزمة تشريعات، من بينها قانون تسجيل السكان، وقانون المناطق الجماعية، وقانون تعليم البانتو، فحول التمييز إلى ممارسة يومية، وأعاد تحديد المكانة الاجتماعية وفق تراتبية عنصرية صارمة تفصل بين البيض والسود (Worden, 1994, 112–117). ومع تعاقب السنوات، انتقل الفصل من إجراء مكاني إلى أداة لضبط الوعي وإعادة تشكيله.

[1] من أمثلة هذه المحاولات: مجدي، رامي (٢٠١٨). "لأن الملاك أبيض: موروثات الاستعمار كمعوق للتنمية عند ستيف بيكو"، مجلة الديمقراطية، مج١٨، ع٧٢، ص١٠–٢٢.

نشط المؤتمر الوطني الإفريقي ومؤتمر عموم إفريقيا المشهد السياسي خلال خمسينيات القرن العشرين، فرفعا مطالب المواطنة والمساواة في مواجهة النظام القائم. قلبت مذبحة شاربفيل في مارس ١٩٦٠م مسار الصراع، إذ أعقبها حظر التنظيمين واعتقال قياداتهما وتراجع العمل العلني (Lodge, 1983, 312–316). وفي ظل هذا الانسداد السياسي، اتجه جيل جديد من الطلبة إلى البحث عن أدوات مقاومة تعالج البعد النفسي للهيمنة.

أدت الجامعات المخصصة للسود بين عامي ١٩٦٠م و١٩٦٨م دورا محوريا في هذا التحول. فاتسعت الفجوة بينها وبين الجامعات البيضاء عقب صدور قانون التعليم الجامعي المنفصل عام ١٩٥٩م، وبدأ الطلبة السود مراجعة الخطاب الليبرالي الأبيض الذي مثله اتحاد الطلبة الوطني (NUSAS). تبلور اتجاه رأى أن الاندماج المشروط يعيد إنتاج السيطرة، وهو ما لخصه بيكو لاحقا بقوله: «الاندماج الذي يعيد إنتاج السيطرة ليس تحررا» (Biko, 2005, 22). اتخذ هذا الوعي شكله التنظيمي عام ١٩٦٨م بتأسيس منظمة الطلبة الجنوب إفريقيين (SASO)، التي أعلنت في بيانها الأول في عام ١٩٦٩م أن السواد موقف ذهني قبل أن يكون لونا (SASO Manifesto, 1969, 3). واتسعت الحركة في السبعينيات عبر مؤتمر الشعب الأسود (BPC) وبرامج المجتمع الأسود (BCP) التي هدفت إلى تمكين المجتمعات المحلية في التعليم والصحة والعمل التطوعي (Mzamane, 1996, 122–126).

واجهت الدولة هذا المد بإصدار أوامر الحظر عام ١٩٧٣م، فقيدت حركة بيكو، ومنع من النشر والتجمع. تسربت أفكاره عبر الكنائس والمدارس والنقابات، وحين اندلعت انتفاضة سويتو عام ١٩٧٦م، كانت مفاهيم الوعي الأسود قد ترسخت في وعي آلاف الطلبة. وقد حضر فكر بيكو في اللغة الأخلاقية للاحتجاج، رغم غيابه عن القيادة الميدانية.

اعتقل بيكو في أغسطس ١٩٧٧م، وتعرض لتعذيب أودى بحياته في ١٢ سبتمبر ١٩٧٧م (Woods, 1978, 211–216). شكل مقتله صدمة أخلاقية كشفت وحشية النظام، وحولت ذكراه إلى رمز

لمرحلة جديدة من الوعي بالمقاومة. أبرزت شهادته القضائية، كما وثقها أرنولد (Arnold, 2017, 45–49)، عمق خطابه الإنساني، حيث واجه المحاكمة امتدادا لنضال رمزي من أجل حق الإنسان في تعريف ذاته.

تكشف الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٨ و١٩٧٧م عن تحول جوهري في مفهوم النضال، إذ انتقل من ساحة السياسة والقانون إلى ميدان الوعي والكرامة والمعنى. وفي قلب هذا التحول تبلور فكر ستيف بيكو بوصفه مشروعا لإعادة تعريف الحرية، حرية تعمل على نقض البنية النفسية التي تنتج القهر، وتعيد بناء الإنسان باعتباره الأساس الذي يقوم عليه كل تحرر.

المبحث الثاني

البناء الفكري والفلسفي لحركة الوعي الأسود ومكونات خطاب ستيف بيكو (١٩٦٨–١٩٧٧م)

واجه ستيف بيكو نظام الفصل العنصري من جذوره الأخلاقية والفكرية قبل قوالبه القانونية. أدرك أن العنصرية ليست فصلًا جسديًا فحسب، وإنما مشروع يعيد صياغة مفهوم الإنسان وفق تراتبية تُخضع العقل قبل الجسد. انطلق من هذا الوعي ليبني فلسفة تحررية تعيد تشكيل الذات المقهورة من الداخل، فتستعيد موقعها في العالم ذاتا قادرة على التعريف والتسمية.

استمد بيكو ملامح من رؤيته من مؤلفات فرانتز فانون، وفي مقدمتها: (بشرة سوداء)، و (أقنعة بيضاء) و(معذبو الأرض). تجلت أهميته الفكرية حين نقل تحليل فانون من سياقه الاستعماري العام إلى الواقع الجنوب إفريقي، كاشفا أن السيطرة على الوعي تمثل جوهر الهيمنة. حيث لخص كل ذلك بقوله: "أقوى سلاح في يد المضطهِد هو عقل المضطهَد" (Biko, 2005, 68). جعل بهذه العبارة التحرر مسارا داخليا يبدأ بتفكيك البنى الذهنية التي صنعها القهر، وباستعادة القدرة على النظر إلى الذات مصدرا للكرامة.

تقاطعت رؤية بيكو مع تحولات فكرية وإنسانية شهدها عقد الستينيات من القرن العشرين، حيث تصاعدت الدعوات إلى تحرير الإنسان من أنماط القهر وفقدان الوعي الذات. تأثر بتيارات شددت على الحرية والمسؤولية الفردية، واستلهم من تجربة أميكار كابرال دعوته إلى (إفريقنة العقول)[1] مدخلا لاستعادة الكرامة والهوية في سياق الصراع ضد الاستعمار والفصل العنصري. استند كذلك إلى التراث الإفريقي بما يحمله من قيم التضامن والانسجام الأخلاقي. تشكل من هذا التفاعل وعي جماعي يرى الهوية موقفا عقليا ونمطا في إدراك العالم، لا مجرد انتماء عرقي. عبّر عن ذلك بقوله إن الوعي الأسود "اتجاه عقلي وطريقة حياة" (Biko, 2005, 91)، فمهد لتحول أعاد للذات الإفريقية مكانتها التاريخية، وحررها من الخضوع إلى نظرة الآخر.

جعل بيكو الاعتماد على الذات محورا مركزيا في خطابه. أعلن بندائه "أيها الرجل الأسود، أنت وحدك!" ميلاد وعي جديد بالذات الإفريقية، مؤسسا مرحلة تجاوز فيها النضال السياسي حدوده إلى إعادة بناء الإنسان نفسه.

هاجم الليبرالية البيضاء التي رفعت شعار الاندماج دون التخلي عن موقع الهيمنة، مؤكدا أن "الاندماج غير المتكافئ شكل راق من الخضوع". فربط استعادة المقهورين حقهم في تعريف ذواتهم بشرط أخلاقي لأي علاقة إنسانية عادلة، ورأى أن الحوار لا يتحقق قبل استعادة هذا التوازن (Biko, 2005, 23).

مزج ستيف بيكو البعد الديني بالمشروع التحرري، رافضا الصورة الاستعمارية للمسيحية التي قدمت الخضوع للتمييز بوصفه لونا من الطاعة.

أفاد من تجارب لاهوتية إفريقية وأميركية، وفي مقدمتها لاهوت التحرير الأسود كما صاغه جيمس كون، ومن اجتهادات لاهوتيي جنوب إفريقيا الذين أعادوا توجيه الإيمان ليغدو موقفا أخلاقيا في مواجهة

(١) يقصد بـها عملية استرداد الوعي الثقافي والإدراكي للشعوب الإفريقية من الهيمنة الاستعمارية، وجعل الثقافة الوطنية منطلقا للتحرر. وقد طرح أميلكار كابرال هذا المفهوم في خطبه ومحاضراته خلال نضال حزب الاستقلال الإفريقي لغينيا والرأس الأخضر، مؤكدا أن الثورة الحقيقية تبدأ بتحرير العقل من الاستعمار قبل السلاح. Cabral, A. (1973)

الفصل العنصري. برز في هذا السياق ديزموند توتو [١]، وألان بوساك [٢]، وجون دي غروتشي[٣]، الذين صاغوا رؤى جعلت الإيمان سبيلا للحرية لا أداة للتبرير.

ودعا بيكو من جانبه إلى أن "تبشر الكنيسة بالخلاص لا للروح وحدها، بل للإنسان كله" (Biko, 2005, 104)، فحول الدين إلى قوة أخلاقية للمقاومة، وتداخل البعد الروحي مع الممارسة الاجتماعية والسياسية، فغدا التحرر مسارا إنسانيا يجمع بين الإيمان والكرامة والوعي.

تميز خطابه بلغة مشحونة بالصدق الأخلاقي والقدرة على كشف التناقضات. استخدم السخرية والمفارقة لتعرية خطاب السلطة، كاشفا أن النظام يعني القمع، والتحضر يعني نزع الإنسانية. تحولت اللغة في نصوص مثل «نحن السود» و«بعض المفاهيم الثقافية الإفريقية» إلى سلاح رمزي يسترد حق الكلام للمقهورين، فغدت الكلمة ممارسة تحررية تكسر الصمت وتعيد تعريف الواقع (Biko, 2005, 27–35؛ Arnold, 2017, 82–84؛ More, 2014, 19).

لم يتخذ فكره طابع التنظير التجريدي، وانطلق من قراءة واقع عاش فيه الإنسان الأسود داخل منظومة تحدد قيمته بلون جلده.

تشكلت من هذا الإدراك رؤية تحررية إفريقية تعيد بناء علاقة الإنسان بالعالم بوصفه صاحب إرادة وقدرة على الفعل.

---

(١) ديزموند توتو (١٩٣١–٢٠٢١م): أسقف أنجليكاني جنوب إفريقي وأحد أبرز رموز النضال الأخلاقي ضد نظام الأبارتايد، عُرف بدوره في الدفاع عن العدالة والمصالحة، ونال جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٨٤م، كما ترأس لاحقا لجنة الحقيقة والمصالحة في جنوب إفريقيا.

(٢) ألان بوساك (Allan Boesak) (مواليد ١٩٤٦): لاهوتي وناشط سياسي من الكنيسة الإصلاحية، ارتبط اسمه بتطوير لاهوت التحرر في جنوب إفريقيا وبالدفاع عن العدالة الاجتماعية داخل حركة مقاومة الأبارتايد.

(٣) جون دي غروتشي (John W. de Gruchy) (مواليد ١٩٣٩م): مفكر ولاهوتي إصلاحي جنوب إفريقي، أسهمت كتاباته في تحليل علاقة المسيحية بالنضال ضد الأبارتايد، وفي تطوير خطاب لاهوتي يدعو إلى العدالة والمصالحة في المجتمع الجنوب إفريقي.

عبر بيكو عن هذا المسار بقوله: "لقد بدأنا رحلتنا نحو الإنسانية الحقة، وهناك في الأفق تلمع الجوهرة المنشودة" (Biko, 2005, 108). دلت هذه العبارة على توجه سعى إلى إعادة بناء الإنسان قبل إعادة تنظيم المجتمع، وربط مطلب الحرية باستعادة الكرامة الإنسانية قبل الانشغال بقضايا السلطة والأرض.

من خلال الجمع بين علم النفس والدين والفكر الإنساني، صاغ ستيف بيكو رؤية جعلت الوعي الذاتي عملا جماعيا في سبيل التحرر. نقل مفهوم الحرية من ميدان السياسة إلى عمق التجربة الإنسانية، وحول المعرفة إلى أداة مقاومة، والإيمان إلى طاقة أخلاقية تعيد للإنسان كرامته. تجاوز أثر فكره حدود جنوب إفريقيا، وأصبح جزءا من ذاكرة القرن العشرين، شاهدا على أن الحرية لا تتحقق ما لم يستعد الإنسان قدرته على تعريف ذاته وتحديد موقعه في التاريخ. بهذا الوعي تهيأت الأرضية الفكرية التي يبين المبحث التالي كيف انتقلت من الفكرة إلى الفعل في مسار المقاومة ضد نظام الفصل العنصري حتى سنة ١٩٩٤م.

المبحث الثالث

أثر فلسفة الوعي الأسود في إعادة تشكيل الخطاب الوطني والمقاومة ضد الفصل العنصري (١٩٧٧–١٩٩٤م)

لم ينه اغتيال ستيف بانتو بيكو في سبتمبر ١٩٧٧م مسار الوعي الأسود، وفتح مرحلة اتسعت فيها الفكرة من حراك طلابي محدود إلى مشروع وطني واسع. سعى النظام العنصري إلى إسكات صوت رآه تهديدا لركائز وجوده، فكان لغيابه أثر معاكس تمثل في بث حياة جديدة لفكره داخل الوجدان العام، حيث أصبح أحد المحركات الأخلاقية والسياسية للمقاومة خلال ثمانينيات القرن العشرين حتى انهيار الفصل العنصري. سارعت السلطات عقب اغتياله إلى حظر التنظيمات المرتبطة بالحركة واعتقال قادتها، فيما كانت الفكرة قد بلغت من النضج ما أتاح لها تجاوز الإطار التنظيمي والاستقرار في الوعي الجمعي رؤية لإعادة بناء الإنسان من الداخل (Arnold, 2017, 165). اتخذ هذا الامتداد شكلا مؤسسيا في تأسيس منظمة شعب أزانيا عام ١٩٧٨م، التي تبنت إرث الوعي الأسود وسعت إلى تحويله برنامجا سياسيا يقوم على الاعتماد على الذات والاعتزاز بالهوية وربط التحرر بالعدالة الاجتماعية (Mzamane, 1996, 207–210).

وجدت أفكار ستيف بيكو صدىً واسعًا في المجال الديني، وأسهمت في إعادة توجيه دور الكنيسة داخل مجتمع أنهكته سياسات التمييز العنصري. استلهم لاهوتيون، من بينهم آلان بوزاك وديزموند توتو، نقده للفكر الديني السائد، وأكدوا اقتران الإيمان بالانحياز للمقهورين. عرض بوزاك في كتابه Farewell to Innocence تصورا يرى أن الدين يغدو قوة للمقاومة حين يستعيد واجبه تجاه الإنسان، وأن الحياد في مواجهة الظلم لا يقوم بوصفه خيارا مشروعا (Boesak, 1977, 54–59). أخذت رسائل الكنائس مع مطلع ثمانينيات القرن العشرين تؤكد أن مقاومة الفصل العنصري تمثل موقفًا إيمانيًا يهدف إلى صون الكرامة الإنسانية وإعادة الاعتبار للمحرومين من حقوقهم (De Gruchy, 1995, 187–193). وفي هذا التداخل بين الفكر الديني والوعي الأسود، اتسع خطاب المقاومة واكتسب بعدا أخلاقيا جذب فئات متعددة من المجتمع.

امتد أثر فكر بيكو إلى ميدان الحركة العمالية والنشاط الاجتماعي في ظل أزمات اقتصادية متصاعدة. استلهمت نقابات مثل (تحالف اتحاد عمال جنوب إفريقيا)، الذي أصبح لاحقًا (مؤتمر نقابات عمال جنوب إفريقيا) (COSATU)، مفاهيم الوعي الأسود في خطابها حول التمكين والكرامة في بيئة العمل. جعلت هذه النقابات من الاعتماد على الذات إطارًا لفهم العلاقة بين العمل والهيمنة البنيوية، مؤكدة أن النضال العمالي جزء من مسار أوسع لاستعادة إنسانية العامل الإفريقي وحقوقه داخل مجتمع يخضع للفصل العنصري (Buhlungu, 2010, 23–27). وفي الميدان التربوي، أعادت منظمات طلابية مثل حركة طلبة أزانيا، ومنظمة شباب أزانيا توظيف فكر بيكو عبر الندوات، والأنشطة الثقافية، داخل الجامعات لبناء وعي نقدي يربط المعرفة بالتحرر. ومع اتساع هذا النشاط خلال الثمانينيات، تحول الوعي الأسود من إطار فكري إلى نهج تربوي وأسلوب حياة يرفض الخضوع الداخلي ويعيد الاعتبار للذات الإفريقية في مواجهة البنية العنصرية للمجتمع (Nkomo, 1984, 41–44).

أسهم فكر ستيف بيكو خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين في تنشيط حركة ثقافية واسعة، وجد فيها كتاب وشعراء وفنانون إطارا فكريا أعاد صياغة الذاكرة السوداء في مواجهة العنف

البنيوي. عبر كتاب، من بينهم والي سيروتي[١]، ونجابولو نديبيلي[٢]، وسيبو سيباملا[٣]، عن الكرامة كقيمة نضالية اقترنت بمقاومة القهر. وحول شعراء سويتو اللغة اليومية إلى سجل يعكس معاناة الناس في ظل القمع، بينما أضفت أعمال الفنان هيو ماسيكيلا[٤]، ومريم ماكيبا[٥] بعدا وجدانيا على الخطاب التحرري، فصارت الأغنية وسيلة لبناء وعي جمعي جمع بين الألم والأمل (Ngwenya, 1997, 88–91).

مع تصاعد الحراك السياسي في ثمانينيات القرن العشرين، اتجه أنصار الوعي الأسود والمؤتمر الوطني الإفريقي إلى مسار تقارب عملي، على الرغم من استمرار التباين في الرؤى حول علاقة النضال باليسار والحزب الشيوعي. وساعد تأسيس الجبهة الديمقراطية المتحدة عام ١٩٨٣م على توسيع قاعدة العمل الوطني، فانضم إليها نشطاء من الوعي الأسود نقلوا إلى الخطاب العام مفردات استمدت روحها من تجربة بيكو، وربطت المطالب السياسية باستعادة الإنسان ومكانته في المجتمع (Seekings, 1988, 311–315). وظهر أثر هذا التفاعل في خطابات قادة المؤتمر الوطني الإفريقي، مثل نيلسون مانديلا، وثابو مبيكي، حيث ازداد حضور مفاهيم الكرامة والإنسانية في اللغة السياسية العامة.

مع بدء تفكك بنية الفصل العنصري في أوائل تسعينيات القرن العشرين، بان أثر فكر ستيف بيكو في أعمال لجنة الحقيقة والمصالحة (١٩٩٦–١٩٩٨م)، التي تبنت تصورا للعدالة يتجاوز العقاب القانوني إلى إصلاح ما أصابه العنف العنصري من روابط إنسانية. وأوضح تقريرها النهائي أن غايتها استعادة إنسانية

(١) والي سيروتي (مواليد ١٩٤٤م): شاعر وروائي جنوب إفريقي ارتبط اسمه بحركة الوعي الأسود وبالأدب المقاوم لنظام الأبارتايد، وعكست أعماله تجربة الاضطهاد والعنف العنصري والتحولات الاجتماعية في المجتمع الجنوب إفريقي.

(٢) نجابولو نديبيلي (مواليد ١٩٤٨م): كاتب وناقد أدبي جنوب إفريقي، عُرف بإسهاماته الفكرية في تحليل الأدب الجنوب إفريقي ونقده للخطاب الثقافي في ظل الأبارتايد، كما دعا إلى قراءة التجربة اليومية للسود جزءا من مقاومة النظام العنصري.

(٣) سيبو سيباملا (١٩٣٢–٢٠٠٧م): شاعر وكاتب جنوب إفريقي ارتبط بالأدب الاحتجاجي خلال مرحلة الأبارتايد، وأسهمت كتاباته في التعبير عن معاناة السود وعن تطلعهم إلى الحرية والكرامة.

(٤) هيو ماسيكيلا (١٩٣٩–٢٠١٨م): موسيقي وعازف بوق جنوب إفريقي ارتبط اسمه بالموسيقى الاحتجاجية ضد نظام الأبارتايد، وأسهمت أعماله في التعريف بمعاناة السود في جنوب إفريقيا خلال سنوات المنفى والنضال الثقافي.

(٥) مريم ماكيبا (١٩٣٢–٢٠٠٨م): مغنية وناشطة جنوب إفريقية عُرفت بلقب (ماما إفريقيا)، استخدمت الغناء بوصفه وسيلة للتعبير عن الهوية الإفريقية ولمناهضة الأبارتايد، وأسهمت شهرتها الدولية في لفت الأنظار إلى قضية جنوب إفريقيا في المحافل العالمية.

المجتمع بأسره، ضحايا وجلادين، وهو توجه ينسجم مع رؤية بيكو التي ربطت التحرر بإيقاظ الوعي قبل إحداث تغيير في البنية السياسية (TRC Report, 1998, Vol. 4, 217–222). وبهذا المعنى، استقر فكر بيكو أساسا موجها لمرحلة الانتقال إلى الديمقراطية. وتكشف الفترة الممتدة بين عامي ١٩٧٧ و١٩٩٤م أن الوعي الأسود تجاوز حدود الاحتجاج الطلابي والإطار الفكري الضيق، ليغدو تعبيرا وطنيا واسعا أسهم في إعادة تحديد معاني القيادة والمقاومة والكرامة. رافق فكر ستيف بيكو مسار النضال خلال سنوات المنفى والعمل السري، ثم استقر مرجعا أخلاقيا في مرحلة التحول السياسي. ومع قيام الدولة الديمقراطية، ظل إرثه حاضرا بوصفه إطارا يستعاد به معنى الحرية والمصالحة وبناء الإنسان بعد عقود من القهر. وتشير المقابلات الشفوية التي أجرتها ليزلي آن هادفيلد بين عامي ٢٠٠٨ و٢٠١٠م، والمحفوظة في أرشيف مؤسسة ستيف بيكو ومركز غينزبرغ، إلى حضور الوعي الأسود في الذاكرة المحلية بوصفه ممارسة يومية في تربية الأجيال على الثقة بالنفس والمشاركة المجتمعية. تكشف شهادات من عاصروا بيكو في مدينة الملك ويليام سعيه إلى "إعادة تعريف الإنسان فينا قبل تحرير السياسة من خوفها" (Hadfield Oral History Collection, 2008–2010). تحول هذا الفكر، الذي بدأ بوعي الإنسان بذاته، إلى مشروع وطني لتحرير المجتمع، فصار جزءا من السردية التاريخية التي قامت عليها جمهورية جنوب إفريقيا الحديثة.

الخاتمة:

أثبتت المسارات التي عالجها هذا البحث أن ستيف بانتو بيكو وفلسفة الوعي الأسود شكلا نقطة تحول أعادت تعريف معنى المقاومة والتحرر في تاريخ جنوب إفريقيا. نشأ مشروع بيكو في سياق أحكم فيه نظام الفصل العنصري قبضته على المجتمع، فحول الإنسان إلى رقم داخل منظومة قانونية مغلقة. صاغ بيكو، من قلب هذا الواقع، رؤية ربطت الحرية بالوعي، وأقامت معركة الإنسان الأولى في داخله قبل أن تنتقل إلى الشارع أو ساحة القضاء. وتكشف قراءة نتاج بيكو، ولا سيما مجموعته (أكتب ما أشاء) التي تعد أشهر مؤلفاته، عن فكر متعدد الأبعاد جمع الدين والنفس والأخلاق، وأعاد للإنسان ثقته بذاته في مواجهة منظومة التمييز. ظلت عبارته "أقوى سلاح في يد المضطهِد هو عقل المضطهَد" مدخلا كاشفا لتجربته، إذ لخصت جوهر الأزمة التي تنتجها أنظمة القهر، وحددت طريق الخلاص في استعادة الوعي بالذات. قدم

بيكو، عبر هذا المزج بين التجربة الإنسانية والقيم الإفريقية والدين، تصورا شاملا للتحرر يخاطب الإنسان عبر الأزمنة. وقد تجاوز أثر الوعي الأسود المجال الفكري إلى الممارسة العملية بعد عام ١٩٧٧م، حين تبنت منظمات وطنية وكنسية ونقابية خطابه الذي جعل الكرامة جزءا من معنى المقاومة. امتد هذا الأثر إلى مرحلة ما بعد الفصل العنصري، حين استلهمت لجنة الحقيقة والمصالحة رؤيته القائمة على الاعتراف والكرامة، ووسعت مفهوم العدالة الانتقالية ليغدو ترميما للإنسان قبل أن يكون محاسبة سياسية. وأظهر البحث، منهجيا، قيمة الجمع بين التحليل التاريخي والتحليل الخطابي في دراسة حركات التحرر. مكن هذا الدمج من قراءة الوثائق في سياقها النضالي، وكشف الحيوية التي وسمت فكر بيكو في حواره مع التيارات الفكرية داخل إفريقيا وخارجها. أبرزت المقارنة كذلك أن إدخال المنظور العربي يفتح أفقا لتبادل التجارب بين الفكرين الإفريقي والإسلامي، ولا سيما في مفاهيم تحرير النفس والكرامة والعدالة الأخلاقية.

التوصيات:

١/ توسيع المقارنة في الفكر التحرري: تطوير دراسات تربط الوعي الأسود بنظريات التحرر الإفريقية الأخرى، مثل فكر نكروما وكابرال، ومقابلها في التراث الإسلامي من فلسفات تحرير النفس، لما تكشفه هذه المقارنات من قيم إنسانية مشتركة.

٢/ رقمنة المصادر وترجمتها إلى العربية: تعزيز رقمنة وترجمة الوثائق الأصلية لحركة الوعي الأسود، ولا سيما بيانات منظمة الطلبة الجنوب إفريقيين، ونشرات (حديث صريح)، لإتاحتها للباحثين العرب.

٣/ إعادة دمج البعد الأخلاقي في دراسات التحرر: إبراز الكرامة والوعي ركائز تحليلية أساسية في الدراسات الحديثة، تأسيسا على تجربة بيكو التي قدمت النضال بوصفه بناء للإنسان ووعيه.

٤/ هكذا يبقى الوعي الأسود مشروعا إنسانيا مفتوحا تجاوز حدود الزمان والمكان. يتردد نداء بيكو بأن الحرية تبدأ من الوعي في مواجهة أشكال القهر المختلفة، ملهما أجيالا تبحث عن معنى متجدد للحرية. برهن ستيف بيكو أن التحرر في جوهره فعل استعادة للإنسان ووعيه وقدرته على رؤية ذاته بعين الحرية، لا انتصارا سياسيا عابرا.

المصادر والمراجع

أولا: المراجع العربية

- أسكندر، وسيم كمال شفيق، **دور حركة الوعي الأسود في الحياة السياسية لجنوب إفريقي/**، القاهرة، المكتب العربي للمعارف، ٢٠١٦م.
- القطراني، ناجي سالم عيسى، استراتيجية العنف واللاعنف في حركات النضال ضد الفصل العنصري، **مجلة الدراسات الإفريقية وحوض النيل**، ع ١٤، ٢٠٢٢م.
- فرحات، محمد فايز، **جنوب إفريقيا: من النضال ضد الفصل العنصري إلى بناء الدولة الديمقراطية**، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، ٢٠٠٨م.
- مجدي، رامي، لأن الملاك أبيض: موروثات الاستعمار كمعوق للتنمية عند ستيف بيكو، **مجلة الديمقراطية**، مج١٨، ع٧٢، ٢٠١٨م.
- نافعـة، حسن، **حركات التحرّر الوطني في إفريقيا**، القاهرة، دار المستقبل العربي، ١٩٩٠م.
- نصر الدين، إبراهيم، **حركة التحرير الوطني لجنوب إفريقيا**، القاهرة، دار المستقبل، ١٩٨٩م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Arnold, M. 2017. *Steve Biko: Black Consciousness and the Quest for True Humanity.* Pietermaritzburg: University of KwaZulu-Natal Press.
- Arnold, M. W. (Ed.). 2017. *The Testimony of Steve Biko.* Johannesburg: Picador Africa.
- Biko, S. 1976–1977. *Court Testimony: State v. Biko and Others (Transcripts).*
- Biko, S. 2005. *I Write What I Like: Selected Writings.* Johannesburg: Picador Africa.
- Black People's Convention (BPC). 1972. *Constitution and Policy Documents.* Durban: BPC Secretariat.
- Boesak, A. A. 1977. *Farewell to Innocence: A Socio-Ethical Study on Black Theology and Black Power.* Johannesburg: Ravan Press.
- Buhlungu, S. 2010. *A Paradox of Victory: COSATU and the Democratic Transformation in South Africa.* Scottsville: University of KwaZulu-Natal Press.

- Cabral, A. 1973. Return to the source: Selected speeches of Amílcar Cabral. Africa Information Service (Ed.). New York: Monthly Review Press.
- De Gruchy, J. W. 1995. *Christianity and Democracy: Theology for a Just World Order.* Cambridge: Cambridge University Press.
- Du Toit, A. 1995. *Afrikaner Political Thought: Analysis and Context.* Stellenbosch: University of Stellenbosch Press.
- Fatton, R. 1986. *Black Consciousness in South Africa: The Dialectics of Ideological Resistance to White Supremacy.* Albany: State University of New York Press.
- Frank Talk. 1970–1976. *Newsletter of the South African Students' Organisation (SASO).* Wits Historical Papers, Collection A1985.
- Gerhart, G. M. 1978. *Black Power in South Africa: The Evolution of an Ideology.* Berkeley: University of California Press.
- Giliomee, H. 2003. *The Afrikaners: Biography of a People.* Cape Town: Tafelberg Publishers.
- Hadfield, L. A. 2008–2010. *Oral History Collection of the Steve Biko Foundation and Steve Biko Centre Archives.* Ginsberg, King William's Town.
- Lodge, T. 1983. *Black Politics in South Africa since 1945.* Johannesburg: Ravan Press.

  Magaziner, D. R. 2010. *The Law and the Prophets: Black Consciousness in South Africa, 1968–1977.* Athens: Ohio University Press.
- Mangcu, X. 2012. *Biko: A Life.* Cape Town: Tafelberg.
- More, M. P. 2014. Biko: Philosophy, Identity and Liberation. *South African Journal of Philosophy,* 33(3), 111–123.
- Mosala, I. J., & Moore, B. (Eds.). 1982. *A Reader in Black Theology.* Johannesburg: Skotaville Publishers.
- Mzamane, M. V. 1996. *The Impact of Black Consciousness on the Liberation Struggle in South Africa.* Johannesburg: Skotaville.
- Ngwane, T. 2018. The Black Consciousness Philosophy and the Politics of Liberation in South Africa. *Review of African Political Economy,* 45(156), 45–63.
- Nkomo, M. 1984. *Student culture and activism in Black South African universities: The roots of resistance*. Westport, CT: Greenwood Press.
- Pityana, B., Ramphele, M., & others (Eds.). 1991. *Bounds of Possibility: The Legacy of Steve Biko and Black Consciousness.* Cape Town: David Philip Publishers.
- Pretoria High Court Archives.
- Seekings, J. 1988. *The Origins of the South African Students' Movement (SASM), 1968–1976.* Cape Town: Centre for African Studies, University of Cape Town.
- South African History Archive (SAHA). (n.d.). *Digital collections and primary documents on the anti-apartheid struggle.* Retrieved from https://www.saha.org.za
- South African History Online (SAHO). (n.d.). *Stephen Bantu Biko Collection.* Retrieved from https://www.sahistory.org.za

- South African Students' Organisation (SASO). 1969. *Policy Manifesto.* Durban: SASO Archives.
- South African Students' Organisation (SASO). 1970–1976. *Frank Talk: Newsletter of the South African Students' Organisation.* Wits Historical Papers, Collection A1985, University of the Witwatersrand**.**
- Truth and Reconciliation Commission (TRC). 1998. *Final Report* (Vols. 3–4). Cape Town: Government of South Africa.
- Woods, D. 1978. *Biko.* London: Paddington Press.
- Worden, N. 1994. *The Making of Modern South Africa: Conquest, Apartheid, Democracy.* Oxford: Blackwell.